

شرح شواهد الكتاب (التشبيه الضمني)

للفص العاشر

قد يشيب الفتى وليس عجيباً *** أن يرى النور في القضيب الرطيب

- يشيب : يصبح شعره أبيض. الفتى : الشاب.
- القضيب : الغصن أو العود. الرطيب : الغضّ الطريّ الذي لم يجف.

الشرح :

- يوضح الشاعر أن ظهور الشيب في رأس الشاب ليس أمراً مستحيلاً أو مستغرباً، كما أن ظهور البياض في الغصن الطريّ أمر ممكن ؛ فحدائث السن لا تمنع ظهور الشيب ، مثلما أن طراوة الغصن لا تمنع ظهور البياض فيه.

ضحك إلى الأبطال وهو يروهم *** ولل سيف حد حين يسطو ورونق

- ضحك : كثير الابتسام. يروهم : يفزعهم ويملاً نفوسهم رهبة.
- حدّ السيف : طرفه القاطع. يسطو : يبطش ويهاجم بقوة.
- رونق السيف : بريقه وحسنه.

الشرح :

- يصف الشاعر رجلاً شجاعاً يبتسم في وجه الأبطال الذين يواجههم ، مع أنهم يخشونه ويهابونه. ويقرب هذه الصورة بالسيف الذي يجمع بين جمال منظره وبريقه من جهة، وقوته وقدرته على القطع والبطش من جهة أخرى.
- فابتسامة الشجاع لا تعني ضعفه، كما أن جمال السيف لا ينفي خطورته.

ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي أملاً *** إن السماء ترجى حين تحتجب

- الحجاب : الستر . مقصٍ : مُبعد.
- أملاً : رجاءً وطموحاً. ترجى : يُؤمل خيرها.
- تحتجب : تستتر بالغيوم.

الشرح :

- يخاطب الشاعر شخصاً يرجو منه الخير، ويؤكد أن احتجابه عنه لا يجعله يفقد الأمل في عطائه. ويستدل بحال السماء حين تتلبد بالغيوم؛ فقد يكون احتجابها بشارة بالمطر الذي يحيي الأرض وينفع الناس.

انصبر على مضض الحسّ *** ود فإن صبرك قاتله

النار تأكل بعضُها *** إن لم تجد ما تأكله

- مضض : ألم وشدة. الحسود : من يتمنى زوال النعمة عن غيره.
- قاتله : مؤدٍ إلى هلاكه. تأكل بعضها : يستهلك بعضها بعضاً إذا لم تجد ما تحرقه.

■ الشرح :

- ينصح الشاعر الإنسان بأن يصبر على أذى الحسود، وألا ينشغل بالرد عليه؛ لأن الحسود قد يستهلك نفسه من شدة الحسد والغيط، كما تأكل النار بعضها بعضاً إذا لم تجد ما تحرقه من الوقود.

تريدين إدراك المعالي رخيصة ؟ *** ولا بد دون الشهد من إبر النحل

- إدراك : بلوغ والوصول إلى.
- رخيصة : دون تكلفة أو مشقة.
- إبر النحل : ما يلسع به النحل.
- المعالي : المراتب الرفيعة والأهداف العظيمة.
- الشهد : العسل.

■ الشرح :

- يستنكر الشاعر أن يطلب الإنسان بلوغ المراتب العالية دون أن يتحمل المشقة ، ويوضح أن الحصول على العسل الطيب قد يتطلب الاقتراب من النحل وتحمل لسعه.

ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها *** إن السفينة لا تجري على اليبس

- النجاة : الخلاص من الخطر أو الهلاك.
- مسالكها : طرقها.
- اليبس : اليابسة أو الأرض الجافة.
- تسلك : تتبع وتسير في.

■ الشرح :

- يلوم الشاعر من يرجو النجاة دون أن يسلك الطريق المؤدي إليها ؛ فمجرد التمني لا يحقق الهدف . ويستدل بأن السفينة لا تستطيع الإبحار فوق اليابسة، وإنما تحتاج إلى الماء لكي تسير.

جذب به تنبت الأحلام زكية *** إن الحجارة قد تنشق عن ذهب

- جذب : قحط وقلة خصب.
- الأحلام : الآمال والطموحات.
- تنشق : تتصدع وتفتح.
- ذهب : المعادن النفيسة المعروفة.
- تنبت : تُخرج وتُنشئ.
- زكية : طيبة ونقية ونامية.

■ الشرح :

- يصور الشاعر ظروفاً قاسية أو بيئة صعبة قد تنشأ فيها آمال عظيمة وناجحة . ويستشهد بإمكان انشقاق الحجارة عن شيء نفيس كالذهب، مع أن الحجر يبدو في الظاهر صلباً لا يُتوقع أن يحتوي على شيء ثمين.
- والمعنى أن الظروف الصعبة لا تمنع بالضرورة ظهور الآمال الجميلة أو النتائج القيمة.

لا تحقرن من الضعيف عداوة *** فالنار يحرق جمرها وشرارها

واحذر مداجاة العدو وكيدته *** إن العداوة ليس تخبو نارها

- تحقرن : تستهين
- الجمر : الفحم المتقدم.
- مداجاة العدو : مجاملة العدو و إخفاء ما في النفس تجاهه
- العداوة : البغض والخصومة.
- الشرار : قطع النار المتطايرة.

تخبو : تخمد وتنطفئ.

الكيد : التدبير للإضرار بالآخر.

■ الشرح :

- يحذر الشاعر من الاستهانة بعبادة شخص ضعيف؛ لأن ضعف مظهره لا يعني بالضرورة انعدام قدرته على إحداث الضرر. فالنار قد تؤذي بجمرها، وقد ينتقل شررها فيحرق ما
- ويحذر الشاعر أيضا من مكائد العدو، وينبه إلى أن العداوة قد تستمر حتى لو لم تظهر بصورة واضحة؛ فهي تشبه النار التي لا تنطفئ، بل يظل خطرها قائمًا ما دامت أسبابها موجودة.

قال الإمام الشافعي :

ولا ترج السامحة من بخيل *** فما في النار للظمان ماء

ترج : تأمل أو تطلب.

السامحة : الكرم والجود.

بخيل : من يمنع العطاء.

الظمان : شديد العطش.

■ الشرح :

- ينصح الشافعي ألا ينتظر الإنسان الكرم ممن عُرف بالبخل؛ لأن من يطلب الماء لإطفاء عطشه لن يجده في النار. فكما أن النار ليست مصدرًا للماء، فإن البخل ليس مصدرًا متوقعًا للسامحة.

قال تعالى : " مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون "

أولياء : أنصارًا.

أوهن : أضعف.

اتخذت بيتًا : صنعت العنكبوت بيتًا تأوي إليه.

لو كانوا يعلمون : لو أدركوا حقيقة ضعف ما اعتمدوا عليه.

■ الشرح :

- يضرب الله تعالى مثلًا للذين اتخذوا من دونه أولياء يرجون منهم النفع والنصر والحماية، بحال العنكبوت التي تصنع بيتًا لتأوي إليه. فهذا البيت لا يوفر لها الحماية التي يتوقعها من يعتمد عليه في الشدائد، وكذلك فإن ما اتخذته المشركون من أولياء لا يغني عنهم شيئًا أمام قدرة الله.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ تَفِيئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا مَرَّةً وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالْأَرْزَةِ لَا تَزَالُ حَتَّى يَكُونَ انْجَعَفَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً "

الخامة : النبتة الغضة الطرية.

تفئها الريح : تميل بها الريح من جانب إلى آخر.

تعديلها : تقيمها وتردها إلى الاعتدال.

الأرزة : شجرة كبيرة صلبة.

انجعافها : اقتلاعها من أصلها.

■ الشرح :

- يوضح النبي ﷺ اختلاف حال المؤمن وحال المنافق في مواجهة الابتلاءات. فالمؤمن قد تصيبه المصائب والشدائد، فيتأثر بها كما تميل النبتة الطرية مع الريح، ثم يستعيد توازنه.

- أما المنافق فَيُشَبَّه بالشجرة الصلبة التي تبقى قائمة مدةً، ثم تُقْتَلَع دفعة واحدة .
- دهر قد علا الوضع به *** وترى الشريف يحطه شرفه
- فالبحر يرسب فيه لؤلؤه *** سفلًا وتعلو فوقه جيفه

- الدهر : الزمن.
- الشريف : صاحب المكانة والفضل.
- يرسب : يغوص إلى القاع.
- الجيف : جمع جيفة، وهي جثة الحيوان الميت.
- علا الوضع : ارتفع شأنه
- يحطه : يخفض مكانته
- اللؤلؤ : حجر كريم نفيس.

■ الشرح :

- ينتقد الشاعر زمنًا اختلت فيه الموازين؛ فارتفع فيه شأن من لا يستحق الرفعة، بينما لم ينل الشريف مكانته المستحقة. ويؤكد هذه الفكرة بصورة البحر، إذ يستقر اللؤلؤ النفيس في قاعه، بينما تطفو الجيف فوق سطحه.
- فارتفاع الشيء فوق غيره لا يدل دائمًا على قيمته، كما أن انخفاض مكان الشيء لا يعني قلة قيمته.

قال نزار قباني :

- وكيف أهرب منه ؟ إنه قدرى *** هل يملك النهر تغييرا لمجراه ؟
- قدرى : ما قُدِّر لي أي لا يستطيع الإفلات منه.
- مجراه : الطريق الذي يسير فيه النهر.

■ الشرح :

- يعبر المتكلم عن شعوره بالعجز عن الهروب من أمر يراه ملازمًا له، فيتساءل: هل يستطيع النهر أن يغير مجراه؟ إنه يستحضر صورة النهر الذي يسير في مجراه، ليقرب بها إحساسه بأنه لا يستطيع الإفلات من قدره.

- ما كل ما يتمنى المرء يدركه *** تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
- يدركه : يحققه.
- لا تشتهي السفن : لا تريد أو لا ترغب.

■ الشرح :

- يوضح الشاعر أن الإنسان لا يحصل دائمًا على كل ما يتمناه ؛ فقد تأتي الظروف مخالفة لرغباته . ويصور ذلك بالسفن التي تتحرك بفعل الرياح، وقد تحملها الرياح في اتجاه لا تريده.
- فالحياة لا تسير دائمًا وفق رغبات الإنسان، وقد تواجهه ظروف خارجة عن إرادته.

- فدع الوعيد فما وعيدك ضائري *** أظنين أجنحة الذباب يضير؟!

- دع : اترك.
- ضائري : مضر بي.
- يَضِير : يضر.
- الوعيد : التهديد بالعقاب
- ظنين : صوت الحشرات.

■ الشرح :

- يتحدى الشاعر من يهدده، ويؤكد أن تهديده لا يؤثر فيه، ثم يضرب مثلاً بصوت أجنحة الذباب؛ فطنين الذباب مزعج أحياناً، لكنه لا يمتلك قوة إحداث الضرر الذي يخشاه الإنسان.

وأصبح شعري منها في مكانه *** وفي عنق الحسناء يستحسن العقد

- شعري : أي قصيدته.
- العقد : ما يُلبس في العنق من الحلي.
- يستحسن : يُعَدّ حسناً وجميلاً.

■ الشرح :

- يوضح الشاعر أن شعره أصبح في موضعه المناسب، كما يكون العقد جميلاً حين يوضع في عنق امرأة حسناء. فكما يزداد جمال العقد بوجوده في موضع يليق به، يزداد الشعر حسناً حين يأتي في سياق يناسبه أو يلقي التقدير الذي يستحقه.

سئلت فاطمة بنت الخرشب الأتمارية عن بنيتها أيهم أفضل؟ فقالت : عمارة ، لا بل فلان ، لا بل فلان . ثم قالت : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها.

- أفضل : أرفع مكانة أو أكثر فضلاً.
- الحلقة المفرغة : الحلقة المستديرة التي لا تظهر لها بداية ونهاية.
- طرفاها : نهايتاها.

■ الشرح :

- سئلت امرأة عن أفضل أبنائها، فوجدت أن المفاضلة بينهم صعبة، لأنهم متقاربون في الفضل والمكانة. فشبهتهم بالحلقة المستديرة التي لا يُعرف لها طرفان متميزان.

لا تأنفن من العتاب وقرصه *** فالمسك يُسحق كي يزيد فضائلا

- تأنفن : تتضايقن.
- قرصه : ألمه أو شدته.
- فضائلاً : خصائصه الطيبة، والمقصود هنا زيادة ظهور طيبه وانتشاره.
- العتاب : اللوم بسبب تقصير أو خطأ.
- يُسحق : يُدقّ ويُطحن.

■ الشرح :

- ينصح الشاعر بتقبل العتاب؛ لأنه قد يكون وسيلة للإصلاح والتحسين، مثلما يُسحق المسك فتنتشر رائحته الطيب

سيذكرني قومي إذا جد جدهم *** وفي الليلة الظلماء يفقد البدر

- جدّ جدّهم : اشتد الأمر وعظمت الشدائد.
- يفقد : يُبحث عنه ويشعر بالحاجة إليه.
- الليلة الظلماء : الليلة شديدة الظلام.
- البدر : القمر المكتمل.

■ الشرح :

- يثق الشاعر بأن قومه سينذكرون فضله حين تشتد الشدائد ويحتاجون إليه .ويستشهد بأن البدر تظهر الحاجة إليه في الليلة المظلمة؛ إذ يتضح نفعه حين يغيب الضوء.

لا يعجبين مضيماً حسن بزته *** وهل يروق دفيناً جودة الكفن

- مضيماً :مظلوماً
- يروق : يعجب أو يسر.
- جودة الكفن : حسن الكفن وجماله.

■ الشرح :

- يحذر الشاعر المظلوم من الاغترار بالمظهر الجميل إذا كان صاحبه يعاني الظلم أو الذل .ويستدل بأن الميت لا ينتفع بجمال كفنه، فحسن المظهر الخارجي لا يعوض غياب ما هو أهم منه.

من يهن يسهل الهوان عليه *** وما لجرح بميت إيـلام

- يهن :يذل ويضعف قدره.
- إيـلام :إحداث الألم.

■ الشرح :

- يبين الشاعر أن من اعتاد الذل وفقد الإحساس بكرامته قد يصبح الهوان عنده أمراً مألوفاً لا يتألم منه كما يتألم الإنسان الذي يحافظ على كرامته .ويستشهد بالميت الذي لا يشعر بألم الجرح.

كرم تبين في كلامك ماثلاً *** ويبين عتق الخيل في أصواتها

- تبين : ظهر واتضح.
- عتق الخيل : أصالتها ونسبها الكريم.

■ الشرح :

- يمدح الشاعر شخصاً ظهر كرمه من خلال كلامه وأسلوبه، ويقارن ذلك بأصالة الخيل التي قد تُعرف من أصواتها وصفاتها.

علا فما يستقر الماء في يده *** وكيف تمسك ماء قنة الجبل

- علا : ارتفع شأنه.
- قنة الجبل : أعلاه وقمته.

■ الشرح :

- يمدح الشاعر شخصاً كريماً يبذل ما في يده، حتى كأن المال لا يبقى عنده من كثرة عطائه .ويستدل بأن الماء لا يستقر عادة على قمة الجبل؛ لأنه ينساب عنها.

فإن تفق الأنعام وأنت منهم *** فإن المسك بعض دم الغزال

- تفق : أي تزد عليهم فضلاً.
- الأنعام : الخلق أو الناس.

• المسك : طيب معروف الرائحة.

■ الشرح :

- يمدح الشاعر شخصاً تميز على سائر الناس رغم أنه واحد منهم. ويقرب ذلك بالمسك الذي يرتبط في أصله بالغزال، لكنه يتميز بطيب رائحته وقيمته.

ويلاه إن نظرت وهي أعرضت *** وقع السهام ونزعهن أليم

• ويلاه : تعبير عن الألم والتحسر.

أعرضت : صرفت وجهها أو ابتعدت.

• وقع السهام : إصابتها للجسم.

نزعهن : إخراج السهام بعد الإصابة.

• أليم : مؤلم.

■ الشرح :

- يصور الشاعر شدة ما يشعر به من ألم حين تنتظر إليه محبوبته ثم تعرض عنه. فالنظرة التي يعقبها الإعراض تثير في نفسه مشاعر مؤلمة، ويقرب هذه المعاناة بألم السهام حين تصيب الجسد، ثم يزداد الألم عند نزاعها.

وَاللَّيْلُ تَجْرِي الدَّرَارِي فِي مَجْرَتِهِ *** كَالرَّوْضِ تَطْفُو عَلَى نَهْرِ أَزَاهِرِهِ

• الدَّرَارِي : النجوم المضيئة.

مجرتة : المسار الذي تجري فيه النجوم

• الروض : البستان أو المكان كثير النبات.

تطفو : تعلو على سطح الماء.

• أزاهره : أزهاره المتفتحة.

■ الشرح :

- يصور الشاعر النجوم وهي تنتشر في صفحة الليل، فيبدو منظرها كأنها أزهار تطفو فوق صفحة النهر. فالنجوم تضيء على السماء جمالاً، كما تضيء الأزهار جمالاً على الماء والبستان.

لَا يَنْزِلُ الْمَجْدُ إِلَّا فِي مَنَازِلِنَا *** كَالنَّوْمِ لَيْسَ لَهُ مَأْوَى سِوَى الْمُقَلِّ

• المجد : الشرف والرفعة والمكانة العالية.

منازلنا : بيوتنا، والمقصود هنا أهل الشرف والمكانة.

• مأوى : مكان يستقر فيه المرء.

المُقل : العيون، ومفرداها مُقلة.

■ الشرح :

- يفتخر الشاعر بأن المجد لا يستقر إلا في منازل قومه، ويقرب ذلك بالنوم الذي لا يجد مكاناً يستقر فيه إلا العيون. فكما يرتبط النوم بالعين، يصور الشاعر المجد كأنه يختار منازل قومه ليستقر فيها.